مركز المنبر
للدراسات والتنمية المستدامة
ALMANBAR CENTER FOR STUDIES
AND SUSTAINABLE DEVELOPMENT

بين موسوليني وترامب..ما الذي تفعله محاولات الإغتيال حقا؟!

المصدر: صحيفة "بوليتيكو" والكاتبة: روث بنغيت

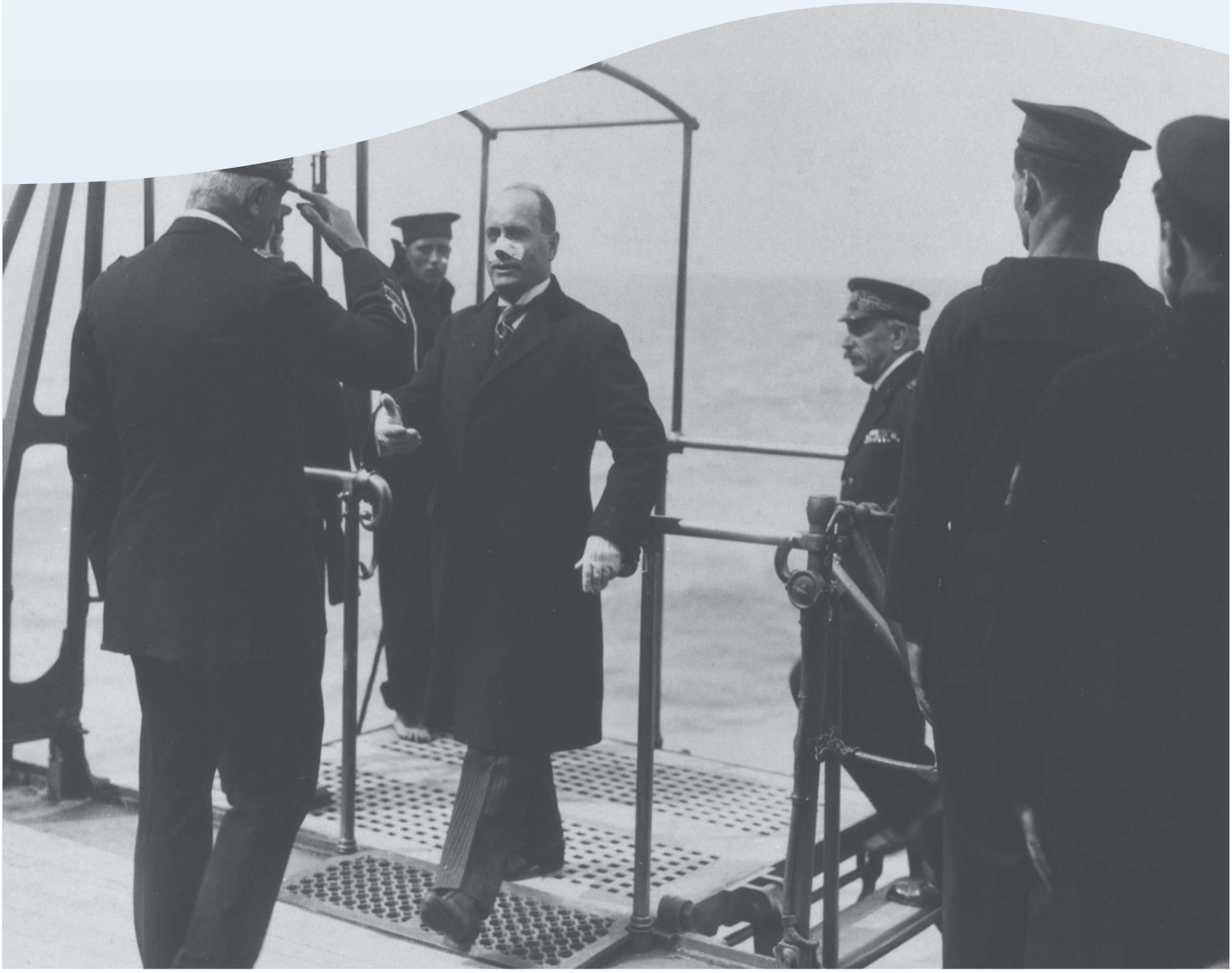

عن المركز

مركز المنبر للدراسات والتنمية المستدامة، مركز مستقلٌّ، مقرّه الرئيس في بغداد. رؤيته الرئيسة تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام – فضلاً عن قضايا أخرى – ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلّ، وإيجاد حلول عمليّة جليّة لقضايا تهمّ الشأن السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي، والثقافي.

لا تعبر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز وانما تعبر عن رأي كتابها

حقوق النشر محفوظة لمركز المنبر للدراسات والتنمية المستدامة

https://www.almanbar.org

info@almanbar.org

بين موسوليني وترامب..ما الذي تفعله محاولات الإغتيال حقا؟!

قسم الابحاث والترجمة

المصدر: صحيفة "بوليتيكو" الأمريكية[1]

الكاتبة: روث بنغيت (أستاذة التاريخ والدراسات الإيطالية في جامعة نيويورك)

تاريخ النشر: 2024/08/05

في 7 أبريل 1926، ألقى الزعيم الفاشي بينيتو موسوليني خطاباً أمام مؤتمر للجراحين، ثم بدأ يسير مع مساعديه في شوارع روما. عندما وصل إلى ساحة ديل كامبيدوجليو، تم إطلاق النار عليه.

خدشت الرصاصة أنفه، وحاولت المنفّذة البريطانية من أصل إيرلندي فيوليت جيبسون إطلاق النار عليه مرة أخرى، لكن بندقيتها تعطّلت، وسرعان ما اعتقلتها الشرطة. تم نقل موسوليني إلى مكان آمن، ولكن بعد ساعات قليلة ظهر علناً لطمأنة جمهوره، والتُقطت صورة له، بإيعاز منه، مع ضمادة بيضاء كبيرة على أنفه.

محاولات الاغتيال هي محاولة لتغيير النظام السياسي بضربة واحدة، لكن التاريخ يظهر أنها غالباً ما تأتي بنتائج عكسية. وفي أغلب الأحيان، لا تؤدي إلى القضاء على الرجل القوي، بل لتقويته وعبادة شخصيته، وموسوليني خير مثال على ذلك.

بعدما شغل منصب رئيس وزراء الحكومة الائتلافية، أعلن موسوليني النظام الدكتاتوري في كانون يناير 1925. وكانت محاولة جيبسون لاغتيال موسيليني هي الثالثة من نوعها، إذ سبقتها محاولة اغتيال من قبل المناهض للفاشية الإيطالي تيتو زامبوني، عضو البرلمان الإشتراكي، الذي اعتقل قبل أن يتمكن من إطلاق النار على موسيليني، وأخرى حاول تنفيذها المدعو جينو لوسيتي، عندما ألقى قنبلة على موكبه، لكنّها لم تنفجر.

واستغل موسيليني محاولات الإغتيال هذه من أجل إصدار سلسلة "قوانين الدفاع عن الدولة" التي حوّلت إيطاليا من الديمقراطية إلى النظام الفاشي وتبريرها إستناداً إلى التوسع الهائل السلطة التنفيذية على حساب السلطة القضائية والبرلمان.

أنهى موسوليني وحزبه الفاشي حرية الصحافة، وحظر جميع الأحزاب السياسية المعارضة، وحظر الإضرابات والنقابات غير الفاشية، وأنشأ الشرطة السرية "OVRA" سيئة السمعة، وأوضحت القوانين أنّ أيّ اعتداء على الزعيم يعدّ اعتداءا على الدولة والوحدة الوطنية.

بالنسبة للفاشيين، لم يمثل الزعيم الأمة فحسب، كما هو الحال في التقاليد الديمقراطية، بل يجسدها جسدياً. لقد تلقّى الضربات من أجل الأمة، وبالتالي فإنّ جراحه كانت أيضاً جراحاً للشعب الذي يكدح من أجلهم. ولهذا السبب، قام موسوليني بالتقاط الصور بعد الهجوم، وأصبحت الضمادة على أنفه بمنزلة وسام شرف. ولهذا السبب، أصبحت كل محاولة إغتيال فاشلة بمنزلة مادة لعبادته وإثبات صلابته وقدرته على التغلب عليها، "الرصاص يمر، موسوليني يبقى."

يحمل تاريخ توطيد موسوليني للسلطة والهجمات التي تخللت تلك العملية دروسا لفهمنا لعقلية وأساليب دونالد ترامب بعد محاولة إغتياله في تجمع حاشد الشهر الماضي.

[1] Mussolini, Trump and What Assassination Attempts Really Do.
https://www.politico.com/news/magazine/2024/08/03/assassination-attempts-mussolini-trump-00171825

قد تكون هناك مبالغة في المقارنة بين موسوليني وترامب، لسبب واحد، وهو أنّ ترامب ليس في السلطة في الوقت الحالي. إنّه رجل قوي طموح، ولكن لا يمكننا أن نعرف على وجه اليقين ماذا سيكون رد فعله لو وقع إطلاق النار عندما كان في البيت الأبيض، وما إذا كان سيستخدمه لقمع المنتقدين أو توسيع سلطته.

ما هو واضح بالفعل هو أن محاولة الإغتيال جعلت عبادة شخصية ترامب أكثر قوة لأتباعه، وإن ادعاءاته بأنه ضحية مستهدفة نيابة عنهم أصبحت الآن أكثر مصداقية وترسخت شخصيته كمقاتل لا يقهر.

منذ موسيليني، أظهر القادة مراراً وتكراراً أنهم مبنيون بشكل مختلف عن الآخرين. (يتبادر إلى الذهن طموح ترامب لترحيل 15 مليون إلى 20 مليون شخص من أمريكا)، إنهم يفكرون مسبقاً، ويبقون مسيطرين على المواقف حتى في اللحظات التي يتم فيها استهدافهم شخصياً، وهم يدركون تماماً التأثير السياسي والإعلامي لأحداث التاريخ، بما في ذلك محاولات الإغتيال.

إنّ الإلمام بسلوك الرجال الأقوياء يمنح تصرفات ترامب في الدقائق الدرامية التي أعقبت إطلاق النار عليه إطاراً مرجعياً حاسماً. معظم الناس في هذا الموقف كانت لديهم غريزة الفرار إلى بر الأمان. ليس ترامب الذي طلب من عملاء الخدمة السرية "الإنتظار، الإنتظار" حتى يتمكن من ارتداء حذائه وكشف وجهه وذراعه ويده أمام الكاميرات والحشد، وتوجيه ضربة القبضة ورسالة: "قاتل، قاتل، قاتل" التي خلقت على الفور صورة آيقونية.

بهذه المبادرة مال ترامب إلى عبادة شخصيته، مطمئنا الملايين من أتباعه المخلصين بأنه نجا ولم يهزم، تماما كما فعل موسوليني مع صورته قبل 100 عام تقريبا. من المؤكد أن بدء الجمهوريين في مؤتمر الحزب الجمهوري في ربط الضمادات البيضاء بآذانهم تكريما لجرح ترامب نفسه كان سيثير إعجاب موسوليني.

الخطر هو ما يأتي بعد ذلك ..

دوامة العنف

كانت القوانين التي سلبت حريات الإيطاليين، ومحاولات الإغتيال التي صاحبتها ، جزءا من دورة من العنف مدفوعة بظرف قد يبدو مألوفاً: الرغبة اليائسة لدى الزعيم في تجنب التعرض والملاحقة القضائية على جرائمه.

لقد ولد مصطلح "الفاشية" في إيطاليا من رماد الحرب العالمية الأولى، ونشأ لوصف حركة سياسية أكدت على القوة والوحدة، استنادا إلى مجموعات تسمى "الفاشية."

بدأت الفاشية كحركة ميليشيا لامركزية ثم أصبحت حزبا سياسيا كاملا سعى إلى فرض "ثورة رجعية"، كما أسماها موسوليني نفسه، باستخدام القوة لدحر حقوق المرأة وحقوق العمال والتعددية الديمقراطية بهدف إستعادة الوحدة الوطنية الأسطورية. (على الرغم من أن الحزب الفاشي في إيطاليا لم يعد موجودا، فإن الأيديولوجية الفاشية لا تزال تعيش في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك في إيطاليا، حيث ترأس رئيسة الوزراء، جورجيا ميلوني، حزب إخوان إيطاليا الفاشي الجديد).

وفي مواجهة السجن المحتمل وإنهيار حياته السياسية، اتخذ موسوليني في 3 كانون الثاني/يناير 1925 خطوة جريئة، معلناً أنّ إيطاليا ستصبح دكتاتورية، وأنّه وحزبه فوق القانون.

في عام 1922، قبل ستة أشهر من تولي موسوليني منصب رئيس الوزراء في أعقاب مسيرته إلى روما – حيث تم حينها تعبئة عشرات الآلاف من "الفرق" المسلحة ذات القمصان السوداء المستعدة لإقتحام مراكز القوة في روما – طرح أسئلة رئيسية في مقال، له صلة باليمين الأمريكي بعد قرن من الزمان: "هل تنوي الفاشية إستعادة سلطة الدولة أم تخريبها؟ هل هو النظام أم الفوضى؟ هل يمكنكم أن تكونوا محافظين ومخربين في نفس الوقت؟."

مثل العديد من الحركات الإستبدادية التي جاءت بعدها، ألهمت الفاشية دورات العنف التي يمكن أن تعمل لصالح أو ضد الدولة والقائد. اكتسبت الفاشية السلطة محليا من خلال زرع الرعب في شمال ووسط إيطاليا، وبمجرد وصوله إلى السلطة كرئيس للوزراء، استمر موسوليني في استخدام العنف لتخويف منتقديه، وكان يسترضي نخب رجال الأعمال من خلال خصخصة قطاعات الكهرباء والهاتف والتأمين.

كان موسوليني رائدا في استراتيجيات تخريب الانتخابات الحرة والنزيهة بقانون أصدره عام 1923 والذي أعطى أي حزب يحصل على أكثر من 25 في المائة من الأصوات ثلثي مقاعد البرلمان مما أعطى الفاشيين أغلبية كبيرة في انتخابات أبريل 1924.

آنذاك، كما هي الحال الآن، كان الإستبداد يستلزم تحويل حكم القانون إلى حكم الخارجين على القانون، وكان الزعماء المستبدون يستخدمون العفو بشكل روتيني لتحرير المجرمين الذين يمكنهم إستغلال مهاراتهم القيّمة في الحزب والحكومة.

وفي يوليو 1925، أصدر موسيليني عفواً عن جميع المجرمين السياسيين، ما أدّى إلى تحرير العصابات البلطجية المعروفة بإسم "القمصان السوداء" التي ساعدته في الوصول إلى السلطة.

واكتسبت الفاشية السلطة من خلال زرع الرعب لدى الناس. وبمجرد وصوله إلى السلطة كرئيس للوزراء، استمر موسوليني في استخدام العنف لترهيب المنتقدين، ثم جاء عمل العنف الفاشي الذي أدّى إلى نتائج عكسية عليه، فقد أمر بقتل الزعيم الإشتراكي جياكومو ماتيوتي، المحامي والناشط في مكافحة الفساد.

اكتشف ماتيوتي رشاوى دفعتها شركة النفط الأمريكية سنكلير (الملوثة بالفعل بفضيحة قبة إبريق الشاي الأمريكية) للمسؤولين الفاشيين مقابل إحتكار حقوق التنقيب عن النفط في إيطاليا. وظهر إسم شقيق موسوليني أرنالدو، في الوثائق.

لمنع ماتيوتي من فضح فساده في البرلمان، أمر موسوليني أعضاء شرطته السرية الشخصية باختطاف وقتل ماتيوتي، لكنهم ارتكبوا أخطاء. على الرغم من أنهم نجحوا في قتل ماتيوتي، إلا أن سيارتهم سرعان ما تم تتبعها إلى سيزار روسي، رئيس الشرطة السرية الشخصية لموسوليني ومكتبه الصحفي.

على الرغم من عدم العثور على جثة ماتيوتي حتى أغسطس 1924، بدأ المدعون الخاصون تحقيقا في جريمة قتل. اتهمت صحافة المعارضة إيل دوسي بالتواطؤ في الجريمة، وبحلول نهاية العام، بدأ حلفاؤه المحافظون بالضغط عليه لتقديم استقالته. وقال الناقد الفني أوغو أوجيتي في ذلك الوقت: "في الواقع، هناك رجلان ميتان، ماتيوتي و موسوليني."

وقد قام موسوليني بمعالجة مشكلاته القانونية بإقالة القضاة الذين كانوا يشرفون على تحقيق مقتل ماتيوتي، وأصدرعليهم الحكم بالقتل غير العمد، ما أدّى إلى تبرئته من المسؤولية المباشرة عن الجريمة.

كانت هذه هي الخلفية الدرامية والسياق لـ"قوانين الدفاع عن الدولة" التي جاءت نتيجة شعور موسوليني بالتهديد الجسدي والسياسي. لقد كانت في جوهرها قوانين للدفاع عنه. وقد خلقت البنية التحتية القمعية للنظام.

وبعد محاولتي الاغتيال في أيلول/سبتمبر وتشرين الثاني/نوفمبر 1925، قام موسوليني بتوسيع سلطة السلطة التنفيذية لمنحها جميع وظائف الدولة، وجعل الأوامر التنفيذية سارية المفعول من دون موافقة البرلمان، ما خلق وضعاً حكومياً لا يمكن فيه تحدي إرادته.

وقال: "أنا وحدي أتحمل المسؤولية السياسية والأخلاقية والتاريخية عن كل ما حدث... إذا كانت الفاشية جمعية إجرامية، فأنا رئيس تلك الجمعية الإجرامية... أيها السادة، إيطاليا تريد السلام والهدوء والعمل"، وأضاف: "سنعطيها ذلك بالحب إن أمكن أو بالقوة إذا لزم الأمر."

آنذاك، كما هي الحال الآن، كان الإستبداد يستلزم تحويل حكم القانون إلى حكم الخارجين على القانون، وكان الزعماء المستبدون يستخدمون العفو بشكل روتيني لتحرير المجرمين الذين يمكنهم استغلال مهاراتهم الإجرامية في الحزب والحكومة. في يوليو 1925، أصدر موسيليني عفواً عن جميع المجرمين السياسيين، ما أدّى إلى تحرير العصابات البلطجية المعروفة باسم "القمصان السوداء" التي ساعدته في الوصول إلى السلطة.

كان موسوليني قد قام بإضفاء الطابع الشخصي على السياسة الإيطالية وأنشأ إطارا قضائيا منحه حصانة فعلية من أي عواقب لأفعاله.

كما أنّ سلسلة محاولات الاغتيال الموجهة إليه خلال هذه الفترة افتتحت أيضاً تاريخاً من الأشخاص الذين يعتقدون أنّ القضاء على الزعيم هو السبيل لإغراق الدكتاتورية الشخصية بأقصى قدر من الكفاءة. وبدلاً من ذلك، غالباً ما تؤدي محاولة الاغتيال الفاشلة إلى تعزيز عبادة شخصية الزعيم، وتضفي مصداقية على الروايات حول قدرته المطلقة والحاجة إلى قوانينه القمعية للحفاظ على البلاد آمنة من الجريمة.

وكانت هذه هي الحال حتى الآن مع ترامب، الذي استغل أنصاره حادث إطلاق النار، واستشهدوا بالتدخل الإلهي لإنقاذ حياته. ويأتي إطلاق النار أيضاً في جو من العنف السياسي المتصاعد الذي ساعد ترامب في نشره في الاتجاه السائد، ليس من خلال خطابه فحسب، ولكن أيضاً من خلال أفعال مثل زيارة متجر أسلحة للإعجاب بسيارة غلوك التي تحمل اسمه.

لطالما أخبر ترامب أتباعه المخلصين أن "الأعداء" لا يلاحقونه، بل يلاحقونهم، أما هو فقد كان "يقف في الطريق."

إن محاولة الاغتيال المروعة هذه ستثبت صحة هذا الادعاء، لقد أخبر ترامب أتباعه المخلصين دائماً أنّ "الأعداء" لا يلاحقونه، بل يلاحقونهم. أما هو، فقد كان "يقف فقط في الطريق". إنّ محاولة الاغتيال الفظيعة هذه ستؤكد صحة هذا الادعاء، وخصوصاً أنّ أحد المشاركين في المسيرة قُتل على يد مطلق النار، وأصيب مؤيدون آخرون.

يمكن أن يصبح أتباع الشخصية الاستبدادية المستعبدين للزعيم متقلبين عندما يكون في محنة. عشرات الآلاف من أنصار ترامب الذين شاركوا في تمرد 6 يناير "لوقف سرقة الاصوات" وإعادة ترامب إلى السلطة دليل على ذلك.

وحتى قبل محاولة الاغتيال، كان بوسعك أن تجد أوجه تشابه بين جهود ترامب وحلفائه لتوسيع سلطتهم وما اتبعه موسوليني في إيطاليا. إنّ أوجه التشابه بين "مشروع التراث 2025" و"قوانين الدفاع عن الدولة" لموسوليني لافتة للنظر، بدءاً من إلغاء استقلال القضاء، إلى تبني الاستخدام العدواني غير العادي للسلطة التنفيذية الذي من شأنه أن يزيل مشكلات ترامب القانونية والمالية التي لا تعد ولا تحصى.

وتعهد ترامب بالفعل بالعفو عن مثيري الشغب في 6 يناير إذا تم إنتخابه، تماماً كما عفا موسوليني عن عصابات "القمصان السوداء". وسيكون ترامب قادراً أيضاً على إستخدام وزارة العدل لإلغاء سلسلة الملاحقات القضائية الجنائية التي تواجهه بسهولة. وفي الوقت نفسه، منحت المحكمة العليا الرئيس صلاحيات حصانة واسعة النطاق، ما يضمن أنه لن يجد المزيد من العوائق أمامه.

تماما كما أعاد موسوليني تشكيل الحكومة لدعم طموحاته في السلطة المطلقة قبل قرن من الزمان بالضبط، يمكن لترامب أن يبذل قصارى جهده ليحذو حذوه.

ستقوي محاولة الاغتيال قبضة ترامب. وفي ضوء ذلك، فإنّ أنف موسوليني المضمد وأذن ترامب المضمدة يتحدثان عن قدرة المستبدين على إستخدام الشدائد لتعزيز سلطتهم على حساب الديمقراطية.